وهذا يدل أن عبارة ابن القيم، بما فيها من قواعد قد أصبحت بمثابة واحد من قوانين الدلالة عند من جاء بعده [1]، نظريا وتطبيقيا، وقد لا يكون التطبيق قد استند إليها، باعتبار التطبيق في الفكر الإسلامي، كان سابقًا على التنظير، وجاء التنظير استخراجًا ونقدًا بعد ذلك، لكن فكرتها على كل حال سارية في أوصال العمل التفسيري الذي يراه قارئ التفسير واضحًا، وستأتي في هذا البحث اقتباسات كثيرة من الآراء التي بناها المفسرون على فهمهم السياق.

وتحت عنوان فصل فى «أن أحسن طرق التفسير أن يُفَسَّرَ القرآن بالقرآن» [2] حدَّد الزركشي جانبًا آخر من معالم السياق وطريقة التفسير به قال: [3] «أحسن طريق التفسير أن يفسَّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فسِّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في آخر، فإنَ أعياك ذلك، فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، قال تعالى: ﴿**وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبيِّن لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾[4] ولهذا قال صلى الله عليه وسلَّم: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» يعني السنَّة، فإن لم يوجد في السنة يرجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن...».

فهذه النصوص الثلاثة (القرآن، السنة، قول الصحابي) إذن، بمثابة سياق عام واحد، يمكن للمفسر أن يستدل بما في بعضه على بعض.

ومعلوم أن النص القرآني يتمتع بخصوصية لغوية عقدية ليست لغيره من النصوص ومن خصوصيته هاتين نستمد عدة قواعد لتفسيره:

أولاً: أنه يمكننا إجراء استقراء كامل لدلالة الألفاظ القرآنية ومفهومها القرآني متكاملاً ومستقلا، لأنه نصّ مغلق، وله خصائص أسلوبية واحدة، وخط دلالي عام واحد يشتمل على كل دلالاته الجزئية والعامة وهو الرسالة الإلهية بما فيها من تأكيد لفكرة وحدانية الله، وتنظيم حياة البشر بأحكام إلهية تكفل لهم صلاح دنياهم.

ثانيًا: أنه لا يمكن أن يتضمن تعارضًا أو اختلافًا أو تناقضًا، لأنه منزل من عند الله

---

(١) توفي ابن القيم عام ٧٥١هـ، بينما ولد الزركشي عام ٧٤٥ هـ وتوفي عام ٧٩٤هـ، انظر ترجمة ابن القيم في الأعلام ص٥٦، ج٦ وترجمة الزركشي ص ٦٠، ج٦.

(٢) البرهان، ص١٧٥.

(٣) البرهان، ص١٧٥، ١٧٦.

(٤) النحل: ٦٤.